

**الملتقى الدولي: الإساءة إلى المقدسات الإسلامية بين سياقات حرية
التعبير وخطاب الكراهية 29/28 ديسمبر 2021**

مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، الأغواط، الجزائر
**تجسيد الأنبياء والصحابة في النظر الفقهي المعاصر- دراسة فقهية
أصولية -**

**The Depiction of Prophets and Companions according to
Contemporary Islamic Jurisprudence**

نصر الدين عاشور*

جامعة أحمد بن بلة، وهران 01، الجزائر nacereddine-1990@hotmail.fr

تاريخ الإرسال: 2022/05/14 تاريخ القبول: 2022/09/06 تاريخ النشر: 2022/10/01

الملخص:

إنَّ مَّا يهدف إليه بحثي تلخيص مذاهب الفقهاء المعاصرين في مسألة تجسيد الأنبياء
والصحابة، والكشف عن الأصول التي بنوا عليها أحكامهم في هاتين المسألتين .

وقد خلصتُ في ختام بحثي إلى أنَّ الفقهاء المعاصرين اتَّفَقوا على تحريم تجسيد الأنبياء عليهم
الصَّلَاة والسَّلَام في الأعمال الفنيَّة، ومستندُهم في هذا الاتِّفاق هو سُدُّ الدَّرَائِع، وأَمَّا بالنَّسبة
لتجسيد الصَّحابة ﷺ في الأعمال الفنيَّة المختلفة فقد اختلفوا بين مبيحٍ له بقيود، وبين مانعٍ منه،
فعمدةُ الجَّوْزِين لتجسيد الصَّحابة ﷺ هو المصلحة المرسلة، ومعتمدُ المانعين من تجسيد الصَّحابة
ﷺ في الأعمال الفنيَّة هو سُدُّ الدَّرِيعَة إلى التَّنَقُّص من قدر الصَّحابة، وإضعاف هيبتهم ومكانتهم
في النَّفوس.

الكلمات المفتاحية: تجسيد، الأنبياء، الصحابة، النظر، الفقهي.

Abstract:

The objective of my research is to summarize the opinions of contemporary jurists regarding the depiction of prophets and companions. It also aims to uncover the principles of jurisprudence that have been used to issue rulings on these two issues.

At the conclusion of my research, I found that contemporary jurists are unanimous on the prohibition of the depiction of Prophets, peace be upon them. Their reference in this matter is preventing the excuse for engaging in a prohibited act, as for the depiction of companions, may Allah be pleased with them, there is a difference of opinion, with some permitting it within certain limits and others prohibiting it entirely. The reference for those who permit it is that it serves the general interest, while the reference for those who forbid it is the blockage of the excuse to undermine the status of the companions, as well as diminishing their reputation and status from within their followers.

Keywords: artistic depiction, prophets, companions, examination, jurisprudential.

مقدمة:

إِنَّ مِمَّا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ سَلَفًا وَخَلَفًا إِجْلَالَ وَتَعْظِيمَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَالصَّحَابَةِ رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ؛ وَذَلِكَ لِمَا خَصَّ اللَّهُ بِهِ الْأَنْبِيَاءَ وَالصَّحَابَةَ مِنْ فَضَائِلٍ وَخَصَائِصٍ وَخِلَالَ وَشَمَائِلٍ لَا تَوْجَدُ عِنْدَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْبَشَرِ، وَلِهَذَا نَجِدُ أَنَّ الْعُلَمَاءَ عَلَى اخْتِلَافِ طَبَقَاتِهِمْ وَفَنُونِهِمْ قَدْ خَصُّوا مَقَامَ النَّبَوَّةِ وَمَقَامَ الصَّحْبَةِ بِأَبْوَابٍ خَاصَّةٍ وَتَدْوِينَاتٍ خَاصَّةٍ، فَنَجِدُ أَنَّ أَهْلَ الْحَدِيثِ قَدْ أَفْرَدُوا فِي مَدُونَاتِهِمْ أَبْوَابًا خَاصَّةً بِقِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ وَفَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، مِنْهَا فَضَائِلُ الصَّحَابَةِ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَفَضَائِلِ الصَّحَابَةِ لِلنَّسَائِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَفَضَائِلِ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ لِأَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنِ إِسْحَاقَ النَّيْسَابُورِيِّ، وَغَيْرِهَا كَثِيرٌ، كَمَا نَجِدُ أَيْضًا أَنَّ الْفُقَهَاءَ قَدْ ذَكَرُوا فِي بَعْضِ الْأَبْوَابِ الْفَقْهِيَّةِ أَحْكَامًا خَاصَّةً بِالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّحَابَةِ، مِنْهَا حُكْمُ سَبِّ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّحَابَةِ وَالْإِزْرَاءِ بِهِمْ، وَهَذَا نَجِدُهُ فِي أَبْوَابِ الْحُدُودِ، وَالزَّدَةِ وَنَحْوِهَا، وَنَجِدُ كَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ السِّيَرِ وَالتَّرَاجِمِ وَالتَّارِيخِ قَدْ خَصُّوا الْأَنْبِيَاءَ وَالصَّحَابَةَ

بمصنفات خاصة، ومن جملة ذلك قصص الأنبياء لابن كثير الدمشقي، و أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، وغيرها، ونظرًا إلى أنَّ العالم يشهد من قديم الزمان تغيرات كثيرة وسريعة في أحوال الحياة ومظاهرها فإنَّه قد ظهرت جملة من التوازل التي اشتبهت على عموم النَّاس، واقتضت تفعيل آلات الاجتهاد عند أهل العصر، ومن جملة تلك التوازل الحادثة تجسيد وتمثيل الصحابة ﷺ في الأعمال الفنية على اختلال أشكالها من سينما ومسرح ومسلسلات ونحوها، وقد حاول بعض المخرجين تجسيد الأنبياء والصحابة في أعمال فنية لأغراض مختلفة، ترجع في مجملها إلى تقريب سير هؤلاء الأخيار إلى عموم المسلمين، بل وتعريف غير المسلمين بهذه الشخصيات، إلَّا أنَّ عمل مثل هذه الأدوار في بلدان المسلمين لم يكن ليتَّ دون عرض هذه المسألة على فقهاء الأمة، ودون عرضها على الميزان الفقهي، وهو ما حصل بالفعل، حيث إنَّ الفقهاء، أفرادٍ وهيئاتٍ، قد أدلَّوا في هذه المسألة بأرائهم وفق ما أداهم إليهم اجتهادهم الفقهي، وسأحاول أن أجيب في هذه الورقة البحثية عن عدد من الأسئلة، من بينها:

ما الأصول التي بنى عليها الفقهاء المعاصرون أحكامهم في مسألة تجسيد الأنبياء والصحابة؟.

وهل حكموا بنفس الحكم في المسألتين جميعاً؟.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدّمة، ومبحثين، وخاتمة.

المقدّمة: وقد ضمّنتها إشكالية البحث والخطة المنتهجة فيه.

المبحث الأوّل: تجسيد الأنبياء عليهم الصلّاة والسّلام، ويشتمل على فرعين اثنين:

الفرع الأوّل: حقيقة تجسيد الأنبياء عليهم الصلّاة والسّلام.

الفرع الثاني: حكم تجسيد الأنبياء عليهم الصلّاة والسّلام.

المبحث الثاني: تجسيد الصحابة ﷺ في الأعمال الفنية، ويشتمل على فرعين اثنين:

الفرع الأول: حقيقة تجسيد الصحابة ﷺ.

الفرع الثاني: حكم تجسيد الصحابة ﷺ.

الخاتمة: وذكرُ فيها أهمّ النتائج المتوصل إليها.

1. تجسيد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

1.1 حقيقة تجسيد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

أ- لغة:

التجسيدُ من الكلمات الشائعة في لسان أهل العصر، وهي مصدرٌ للفعل جَسَدَ، ومعنى جَسَدَ: مثل، يُقال: جَسَدَ فلانُ الأمرَ؛ أي: مثَّلَهُ، وأبرزَهُ في قالب محسوسٍ ولمسوسٍ، ومنه جَسَدَ الأديبُ أفكارَهُ ومكنوناته، إذا عبَّرَ عنها في صورٍ وتشبيهات محسوسة.

ومنه تَجَسَّدَ وهو مطاوعٌ جَسَدَ، يُقالُ تَجَسَّدَتِ الفكرة، أي: اكتسبتُ شكلاً وقالِباً محسوساً.

ومنه كلمة تجسديّة، وهي اسمٌ مؤنَّثٌ منسوبٌ إلى تجسيد، وهي تعتبر كذلك مصدرًا صناعيًا من تجسيد أيضًا، وتعني إبراز الرّد في قالب محسوسٍ كالتعبير بالصّور¹.

ب- اصطلاحًا:

بعد الوقوف على المعنى اللّغويّ لكلمة تجسيد اتّضح أنّها رديفةٌ للتّمثيل من حيث إنّ الجامع بينهما هو محاكاةُ الجَسَدِ والممثل، وقد ذُكِرَ للتّمثيل تعاريفٌ عدّة من أهل الاختصاص، من بينها:

1- تعريف أمير المسرح المصريّ محمّد تيمور باشا؛ حيث قال فيه: «هو أن يقع نظرك على حادثة من حوادث الحياة تؤدّ أن تشرحها لمواطنيك.... طريقة أقرب للعقل والقلب، أيّ للإدراك والشّعور من أن تمثّلها بينهم، أي: تعيدها مرّةً أخرى أمام أعينهم كما وقعت في المرّة الأولى».

وقيل: التمثيل تقصُّص دور الآخرين وحالتهم، أو استحضار صورة من شخص أو حادث، والإتيان بمثيل وشبيه له دون استحضار الشخص نفسه وإعادة الحادث بكل تفصيلاته.

وقيل: إنَّ التَّمثِيلِيَّةَ عبارةٌ عن إبراز الشَّخصِيَّات والفعل إبرازًا حيًّا مشاهدًا².

وعليه يتَّضح أنَّ المقصود بتجسيد الأنبياء عليهم الصَّلَاة والسَّلَام هو إبراز سيرهم وقصصهم في قالب محسوس ومشاهد.

ومن خلال ما سبق من تعاريف يتَّضح أنَّ التَّمثِيل يقومُ على أسس وأركانٍ من بينها:

1- الاستغناء عن الشَّيء بصورته، أو نيابة الصَّورة الممثَّلة عن الممثَّل.

2- وجود قصَّة أو حادثة يمكن محاكاتها، سواء كانتا واقعيتين حقيقةً أم متخيَّلتين.

3- وجود من يقوم بهذه العمليَّة التَّمثِيلِيَّة، وهم الممثِّلون.

4- وجود قواعد لهذه العمليَّة التَّمثِيلِيَّة.

5- تهدف هذه العمليَّة التَّمثِيلِيَّة إلى عددٍ من الأمور³، من بينها:

- تربية النَّاشئة.

- تنقيف المجتمع.

- المعالجة العمليَّة لقضايا الأُمَّة المختلفة.

- التَّوثيق لوقائع وأحداث التَّاريخ.

- إحياء ما طُمس من المشاعر الإنسانيَّة.

- التَّرفيه والتَّسلية.

1. 2 حكم تجسيد الأنبياء عليهم الصلّاة والسّلام.

اتّفقت كلمة العلماء المسلمين بمشارك الأرض ومغاربها على حرمة تجسيد وتمثيل الأنبياء عليهم الصلّاة والسّلام، ومن الهيئات والجامع التي أصدرت قرارات بهذا الشأن:

- المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي.

- لجنة الفتوى بالأزهر الشريف.

- مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة.

وأما الفتاوى الصّادرة عن أفراد العلماء فهي كثيرة لا تُحصى، وكلّها متّفقة على أنّ تمثيل الأنبياء عليهم الصلّاة والسّلام محرّم أشدّ التّحريم، فيندرج هذا الحكم في زمرة الإجماع الشّكوتيّ.

وأما مستند الحكم فهو سدّ الدّرائع إلى انتهاك حرمة مقام النّبوة، والخطّ من قدر الأنبياء عليهم الصلّاة والسّلام، وهم صفوة الخلق، والأخيار من عباد الله، وقد ذكر الفقهاء المعاصرون معاني كثيرة جدّا مُنِعَ من أجلها تمثيل الأنبياء وتجسيدهم في أعمال فنيّة تمثيليّة، سواء كانت مسرحيّة، أو أفلام، أو مسلسلات، أو غير ذلك، ومن بين تلك المعاني المذكورة ما يلي:

1- إنّ تجسيد الأنبياء في الأعمال الفنيّة قد يفضي إلى عددٍ من الآفات والمحرمات والأمر الكفريّة، من بين ذلك:

- تشكيك المسلمين في عقائدهم، وتبديد ما وَفَّرَ في نفوسهم من تمجيد وتقديس الأنبياء والمرسلين عليهم الصلّاة والسّلام.

2- إنّ تجسيد الأنبياء يفتح أبواب التشكيك في أحوالهم والكذب عليهم؛ إذ من المحال أن يطابق حال ممثّل من الممثّلين حال أنبياء الله تعالى في أخلاقهم وهدْيهم وسمتهم، وقد يؤدّي هؤلاء الممثّلون أدوارًا غير لائقة قبل تمثيل النّبيّ أو بعده، فينطبع في ذهن النّبيّ اتّصاف ذلك النّبيّ بصفات تلك الشّخصيّة التي تقمّصها ذلك الممثّل لدور النّبيّ، والتّشكيك في أحوال الأنبياء والكذب عليهم كفر بالله تعالى.

3- إنَّ المشاهد في التمثيلات والأفلام ونحوها يغلب عليها طابع اللُّهو وزخرفة القول والتَّصنُّع في الحركات ونحوها، ممَّا يلفت النَّظر ويستميل النَّفوس ويستولي على المشاعر، ولو أدَّى إلى التَّحريف والكذب والزَّيادة أو النَّقص في كلام من يُمثَّل ، وهذا بمجرَّده غير جائز، فلا يسوغ ولا يجوزُ من باب أولى حقَّ أنبياء الله تعالى.

4- إنَّ تجسيد الأنبياء في أعمال دراميَّة إن كانت الغايَّة منهم التَّعرُّف عليهم وعلى سيرهم فلا يوجد مبرِّر له؛ لأنَّ كتاب الله تعالى أغنانا عن ذلك، فقد ورد في العديد من السُّور والآيات سرُّ ما كانوا عليه في سيرهم، ودعوتهم، وشمائلهم، ومن ذلك قول الله تعالى: «وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (83) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (84) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ (85) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (86) وَمِن آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (87) ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (88) أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِكَاذِبِينَ (89) أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبْهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (90)» [الأنعام: 83 - 90].

5- إنَّ الذين يشتغلون بالتمثيل يغلب عليهم عدم تحري الصدق وعدم التَّحلِّي بالأخلاق الإسلاميَّة، فضلاً عمَّا فيهم من جراءة ومجازفة وعدم المبالاة بالانزلاق إلى ما لا يليق إذا كان يحقُّ لهم استهواء النَّاس ورضاهم، فإذا قام هذا الصَّنْفُ من الممثِّلين بتجسيد دور الأنبياء عليهم الصَّلَاة والسَّلام أدَّى ذلك إلى السَّخريَّة منهم والاستهزاء بهم والتَّيل من كرامتهم، وأزال ما لهم من هبة ووقارٍ في نفوس المسلمين.

6- إنَّ تصوير الأنبياء من الكذب والبهتان في حقِّهم، وذلك لأنَّ تصويرهم وتمثيلهم فرغ تصوُّر حقيقتهم، ومن لم يُدرِّكهم أنَّى له تصوُّهم ويجسِّدهم على صورة قريبيَّة من حقيقتهم، فضلاً عن أن تكون مطابقة لأوصافهم وصفاتهم الحسيَّة والمعنويَّة، وإذا ثبت هذا فإنَّه يصدق على من فعل هذا

الفعل، وصوّر نبياً من أنبياء الله أنّه اختلق صورةً غير صادقة له، وغير مطابقة للواقع الذي كان عليه، فهذا الفعل كذب وزور، وقد ثبت في الشريعة أنّ الكذب من كبائر الذنوب، إلّا أنّه في حقّ الأنبياء كفر؛ لأنّه كذب على الله تعالى⁴.

7- إنّ التمثيل والتجسيد الفنيّ عملٌ بشريّ معرّضٌ للعديد من الآفات التي تؤدّي إلى حكم الناس عليه بالرداءة والضعف وعدم الإتيان، وهو أمرٌ لا بدّ من استحضاره في هذه المسألة، فقد يقع هذا الأمر مع من يمثل ويُجسّد نبياً من الأنبياء فيقع منه قصور أو تقصير، وهو ما قد ينتج عنه ازدراء هذا النبيّ عند المشاهدين واحتقاره، وربّما السخرية منه، وكلّ ذلك كفرٌ بالله تعالى، ولكن سببه هو هذا العمل الفنيّ الرديء⁵.

8- إذا قُدِّر أنّ التمثيلية لجانبين اثنين: جانب الكافرين كفرعون وأبي جهل وأضرابهما، وجانب المؤمنين كموسى، ومحمّد عليها السّلام وأتباعهما، فينطق الممثل بكلمات الكفر، ويوجّه السّباب والشّتائم لمن يؤدّي دور الأنبياء وأتباعهم، ويرميهم بالكذب والسّحر والجنون، ويسقّه أحلام الأنبياء وأتباعهم، ويبهتهم بكلّ بكلّ ما تسوّل له نفسه من الشّرّ والبهتان، ممّا حصل من فرعون وأبي جهل وأضرابهما مع الأنبياء عليهم الصّلاة والتّسليم، وهذا لا على وجه الحكاية عنهم، بل على سبيل التّلقّظ بالألفاظ التي تلقّظوا بها سواءً بسواء، بل ربّما زاد الممثلون أشياء من عندهم ممّا يُكسِبُ الموقف بشاعةً، ويزيده تُكرّاً ومُحتاناً، ولا شكّ أنّ هذا حرامٌ، ومُنكرٌ عظيم⁶.

9- إنّ تمثيل أدوار الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام قد يجرّ إلى مفاصد عظيمة، ومن ذلك أنّه قد يصدر من الممثلين المسلمين تعريضٌ بعيسى عليه السّلام، على صورة لا ترضي النّصارى، فهنا يكون الممثل قد وقع في مفسدتين:

إحداهما: أنّه عرّض نبيّ من أنبياء الله، وذلك كفرٌ.

والثاني: أنّه تسبّب في وقع فتنة بين أهل الملتين، وربّما دفع ذلك بالنّصارى إلى الطّعن في نبينا عليه الصّلاة والسّلام اعتقاداً منهم أنّ في ذلك ردّاً اعتباراً لعيسى عليه السّلام⁷.

2. تجسيد الصحابة ﷺ في الأعمال الفنية.

1.2 حقيقة تجسيد الصحابة ﷺ.

سبق تعريف التجسيد التمثيل في اللغة العربية والاصطلاح الفني في الفرع الأول من المبحث السابق، وأما بالنسبة لتمثيل وتجسيد الصحابة فيقال في حقيقته ما قيل في حقيقة تجسيد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ويمكن حده بأنه هو إبراز سيرة صحابيٍّ ما في قالب محسوس ومشاهد.

2.2 حكم تجسيد الصحابة ﷺ.

اختلف فقهاء العصر في حكم تجسيد الصحابة في الأعمال الفنية على قولين اثنين:

القول الأول: المنع.

وهو قول عامة أهل العصر، وحكي إجماعاً، وهو قول المجامع الفقهية وهيئات الإفتاء بمختلف أقطار العالم الإسلامي.

ومستند هذا القول ما يلي:

1- خصوصية الصحابة ﷺ، فهم نَقْلُ الشريعة، وحملُ الوحي عن النبي صلى الله عليه وسلم، بل إن أفعالهم وأقوالهم حُجَّة في بعض أبواب الفقه عند عدم وجود الخلاف بينهم، فوجب أن يختصوا في هذا الباب بمزيد من الاحترام والتوقير، وذلك ما ينافيه تجسيدهم في الأعمال الفنية على اختلاف أشكالها.

2- أن الواجب سدُّ كلِّ ذريعةٍ تؤدي إلى انتقاصهم والخط من قدرهم، والسخرية منهم، والاستهزاء بهم، وفي هذا منافاة للكرامة التي أكرمهم الله بها، ومناقضة للثناء عليهم.

3- أن في هذا إيذاءً لهم وعدواناً على حقهم وظلماً وأفتياً عليهم.⁸

القول الثاني: جواز تجسيد الصحابة رضي الله عنهم بشروط.

وقال به جماعة من المعاصرين، من أبرزهم الشيخ حسين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية سابقاً، الشيخ محمد رشيد رضا، والشيخ مناع القطان، والشيخ قيس آل مبارك، والشيخ علي بن محمد الصلابي.

وقد اشترط هذا الفريق من العلماء جملةً من الشروط، من بينها:

- 1- أن يكن الشخص القائم على تمثيل دور الصحابي على درجة من التقوى والصلاح، ولم يسبق له أن مارس أدواراً تمثيلية تتنافى مع أخلاق ومبادئ الإسلام.
- 2- أن تكون حركات الممثل وألفاظه وأخلاقه متناسبة مع جلال قدر الصحابي الممثل.
- 3- أن يقوم على إخراج العمل مخرج مسلم معروف باستقامة أخلاقه وسيرته.
- 4- أن تكون المناظر والديكورات منسجمة مع الوضع الطبيعي لحياة الصحابة.
- 5- أن لا يصاحب التمثيل محرّمات أو أمورٌ محلّة بالأداب والأخلاق الإسلامية.

الأدلة:

استدلّ المجوّزون لتمثيل الصحابة في الأعمال الفنية بعددٍ من الأدلة، من أبرزها وأظهرها ما يلي:

1- أنّ الأصل في الأشياء الإباحة، ولا يُصار إلى القول بالتحريم إلاّ بدليل مقتضٍ للحرمة، وليس ثمة دليل من كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدلّ على حرمة تمثيل الصحابة رضي الله عنهم.⁹

2- أنّ مسألة تمثيل الصحابة رضي الله عنهم خاضعة لقاعدة الموازنة بين المصالح والمفاسد عند اجتماعها في محلّ واحد، فإذا وُجدت مصلحة تقتضي الأرجحية في مقابل مفسدة قليلة فلا مانع من ارتكاب الفعل الذي اجتمع فيه الوصفان.¹⁰

3- أنَّ عرض مسلسل يجسّد حياة الصّحابة ﷺ بصورة حسنة مع مراعاة كافّة الضّوابط الشرعيّة، وكون الممثّلين لأدوار الصّحابة ممّن عُرفوا بالصّلاح والسّمتة الحسنة والبعد عن الفحش والخلاعة، وكون حركة الممثّل متناسبةً مع جلال قدر الصّحابيّ الممثّل، وعدم مصاحبة التّمثيل لأمرٍ محرّمٍ محلّ بالأداب، وإخراج هذه الأعمال بواسطة مخرج مسلم معروف باستقامته، ووجود لجنة رقائيّة شرعيّة فيه توجيه لخدمة الدّين والإصلاح ونشر الفضيلة والدّعوة إلى الله¹¹.

4- ما جاء من أدلّة تفيد جواز التّمثيل بشكل عامّ، ومن ذلك:

أ- ما جاء في كتاب الله من قصّة الملكين الذين أتيا إلى نبيّ الله داود عليه السّلام في صورة خصمين فقالا: «لا تخفّ خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحقّ ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصّراط» [ص:22] فقال أحدهما: «إنّ هذا أخي له تسع وتسعون نعجةً ولي نعجةٌ واحدة فقال أكفلنيها وعزّني في الخطاب» [ص:23].

ب- قصّة الأبرص والأقرع والأعمى الذي تمثّل لهم ملكٌ على صورة كلٍّ منهم، فقد ورد في الصّحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنّه سمع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: «إنّ ثلاثة في بني إسرائيل: أبرص، وأقرع، وأعمى، فأراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكا، فأتى الأبرص، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قدرني الناس، قال: فمسحه فذهب عنه قدره، وأعطني لونا حسنا وجلدا حسنا، قال: فأني المال أحب إليك؟ قال: الإبل - أو قال البقر، شكّ إسحاق - إلا أن الأبرص، أو الأقرع، قال أحدهما: الإبل، وقال الآخر: البقر، قال: فأعطني ناقة عشراء، فقال: بارك الله لك فيها، قال: فأتى الأقرع، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن ويذهب عني هذا الذي قد قدرني الناس، قال: فمسحه فذهب عنه، وأعطني شعرا حسنا، قال: فأني المال أحب إليك؟ قال: البقر، فأعطني بقرة حاملا، فقال: بارك الله لك فيها، قال: فأتى الأعمى، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلي بصري، فأبصر به الناس، قال: فمسحه فرد الله إليه بصره، قال: فأني المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطني شاة والدا، فأنتج هذان وولد هذا، قال: فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم، قال: ثمّ إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين، قد

انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن، والمال بغيرا، أتبلغ عليه في سفري، فقال: الحقوق كثيرة، فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرک الناس؟ فقيرا فأعطاك الله؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر، فقال: إن كنت كاذبا، فصيرك الله إلى ما كنت، قال: وأتى الأقرع في صورته، فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد على هذا، فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت، قال: وأتى الأعمى في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين وابن سبيل، انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله، ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك، شاة أتبلغ بها في سفري، فقال: قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري، فخذ ما شئت، ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم شيئا أخذته لله، فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتم، فقد رضي عنك وسخط على صاحبيك»¹².

ج- تمثل جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي، فقد جاء عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى مَعْرِفَةِ فَرَسٍ وَهُوَ يُكَلِّمُ رَجُلًا، قُلْتُ: رَأَيْتُكَ وَاضِعًا يَدَيْكَ عَلَى مَعْرِفَةِ فَرَسٍ دَحِيَّةَ الْكَلْبِيِّ وَأَنْتَ تُكَلِّمُهُ، قَالَ: " وَرَأَيْتِ؟ " قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: " ذَاكَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ يُفَرِّئُكَ السَّلَامَ " قَالَتْ: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا مِنْ صَاحِبٍ وَدَخِيلٍ، فَنَعَمَ الصَّاحِبُ، وَنَعَمَ الدَّخِيلُ»¹³.

د- تمثل لإبراهيم عليه السلام ولوط عليه السلام في غير صورهم التي خلُقوا عليها، فتمثلوا في صورة شباب قد غلب عليهم الجمال وحسن الصورة، وذلك في قصة عذاب قوم لوط الواردة في القرآن الكريم في أكثر من موضع، ومنها قول الله تعالى: «وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (77) وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَاقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (78) قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكِ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (79) قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ (80) قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ» [هود: 77 - 81].

هـ- ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في حكاية وتمثيل بعض أفعال من سبقه¹⁴، ومن ذلك ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال: «لَمَّا قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَنَائِمَ حُنَيْنٍ بِالْجِعْرَانَةِ، اَزْدَحَمُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى قَوْمِهِ فَضْرَبُوهُ وَشَجُّوهُ، قَالَ: فَجَعَلَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ جَبْهَتِهِ، وَيَقُولُ: رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي إِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ "، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ جَبْهَتِهِ، يَحْكِي الرَّجُلُ، وَيَقُولُ: " رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي إِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ »¹⁵.

و- ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: ... وكانت امرأة ترضع ابنا لها من بني إسرائيل، فمر بها رجل راكب ذو شارة فقالت: اللهم اجعل ابني مثله، فترك ثديها وأقبل على الراكب، فقال: اللهم لا تجعلني مثله، ثم أقبل على ثديها بمصه، - قال: أبو هريرة كأني أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم يمص إصبعه - ثم مر بأمة، فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثل هذه، فترك ثديها، فقال: اللهم اجعلني مثلها، فقالت: لم ذاك؟ فقال: الراكب جبار من الجبابرة، وهذه الأمة يقولون: سرت، زنيت، ولم تفعل»¹⁶.

ز- أنَّ التمثيل يجري مجرى ضرب الأمثال التي أكثر الله من ذكرها في القرآن الكريم، وكذلك ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم في السنة المطهرة، وضرب المثل كما يكون بالأقوال يكون بالأفعال كذلك.

ح- التمثيل نوعٌ من أنواع التشبيه، والتشبيه قد ورد ذكره بكثرة في القرآن الكريم والسنة النبوية، وهو أسلوب عربي معروف لم ينتقده النبي صلى الله عليه وسلم، وما جاز بالقول جاز بالفعل ما لم يأت دليل يمنع منه¹⁷.

ط- أنَّ التمثيل المنضبط بضوابط الشرع تترتب عليه مصالح عظيمة، ككونه وسيلة دعوية مؤثرة في نفوس المجتمعات على اختلاف مشاربها ومذاهبها، كما أنه يسهم كثيرا في تثقيف النشء عن طريق عرض المعلومات التاريخية بشكل ميسور وسهل بعد تدقيقها وعرضها على المتخصصين خصوصا في هذه الأزمنة المتأخرة التي أعرض فيها أغلب المسلمين عن القراءة والمطالعة وأقبلوا على

وسائل ومنصّات التّواصل الاجتماعي، وهذا ما يجعل الوصول إلى المشاهدين عن طريق هذه المنصّات أيسر وأنفع من محاولة الوصول إليهم عن طريق الكتب أو نحوها من المسائل الاعتيادية.

ي-أنّ الفيلم أو المسلسل المراجع من قبل المختصّين الشرعيّين والتاريخيّين سيّسهل مسألة إلقاء الضّوء على جوانب خفيّة متعلّقة بالشّخصيّة الممثّلة، وهي تخفى على أغلب النّاس، ولا يمكن لأفراد النّاس أن يصلوا إليها إلّا بعد جُرد لكتب التاريخ التّراجم والسّير¹⁸.

ك- أنّ أبناء المسلمين في الغرب الدّارسين بمدارس أجنبيّة لا يكادون يعرفون شيئاً عن صحابة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ولا عن حياتهم، ففي عرض هذه التّمثيليّات سدّ لثغر عظيم، وأداءً لمهمّة عظيمة يصعب تداركها بوسيلة أخرى إلّا مع مشقّة ونصب¹⁹.

ل- أنّ عادة الشّرع في المسائل التي يراد لها التّحريم المؤبّد والمطلق ألا تُترك للاجتهاد البشريّ، وإنّما تنصّ عليها الشّريعة نصّاً، وذلك نظراً إلى قصور العقل البشريّ في قضيّة إدراك الصّلاح المطلق والفساد المطلق، وذلك أنّ نصوص الكتاب والسّنّة لما تحدّثت عن المحرّمات الكبرى كأكل الرّبا أو شرب الخمر قد بيّنتُ فسادها وضررها، ثمّ أمرت المكلفين أمراً جازماً أن يجتنبوها ويبتعدوا عنها، بكافّة صورها وأنواعها، فالشّريعة لم تسكت عن هذه المحرّمات ولا عن بعض صورها، فلو سكّنت عنها لكانت عرضة للاجتهاد البشريّ والتّفسير والتّأويل، ولكان في السّكوت دلالة على قابليّة المسألة للحلّ والحرمة بحسب الاعتبارات الملحوظة، فلمّا كانت هذه مثل هذه المحرّمات الكبرى محرّمة على التّأييد والإطلاق كانت فاسدة في ذاتها أوّلاً، ولا تقع إلّا فاسدة في كلّ حال وزمان ومكان، أمّا ما سكّنت عنه الشّارع ولم ينصّ على حكمه نصّاً قاطعاً فقد تُرك فيه المجال للاجتهاد البشريّ، فهو إذن قابلٌ للصّلاح والفساد، وقابل للحكم عليه بالحلّ والحرمة تبعاً للملابسات المحيطة به، والاعتبارات المشهودة فيه، وعليه يمكن القول بأنّ مسألة تمثيل الصّحابة رضي الله عنهم من قبيل المسكوت عنه، فليست مصلحة مطلقة، ولا مفسدة مطلقة، بل قابلة للحكم عليها بحسب الأحوال والاعتبارات التي تقارنها²⁰.

الخاتمة:

أبرز هذا البحث نتائج عدة، من بينها:

- 1- اتفق الفقهاء المعاصرون على تحريم تجسيد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الأعمال الفنية، ويندرج اتفاقهم هذا في مسائل الإجماع السكوتي، والله أعلم.
- 2- المعتمد الأصولي لفقهاء الأمة في تحريم تجسيد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في أدوار سينمائية أو مسرحية هو سدّ الدرائع.
- 2- من المعاني التي سُدَّت الدرائع إليها في مسألة تجسيد الأنبياء امتهاهم، والتَّنْقُصُ من قدرهم، والتشكيك فيهم، وغير ذلك.
- 3- اختلف أهل العصر في حكم تجسيد الصحابة رضي الله عنهم في الأعمال الفنية المختلفة بين مبيح له بقيود، وبين مانع منه.
- 4- عمدة المجوزين لتجسيد الصحابة رضي الله عنهم هو المصلحة المرسلّة، والتي وُجد مقتضاها في هذا العصر، ولم يوجد في الأعصار الماضية.
- 5- معتمد المانعين من تجسيد الصحابة رضي الله عنهم في الأعمال الفنية هو سدّ الذريعة إلى التَّنْقُص من قدر الصحابة، وإضعاف هيبتهم ومكانتهم في النفوس.

المصادر والمراجع

1. الإسلام والفنون، أحمد شوقي الفنجري، دار الأمين، الطبعة الأولى، 1418هـ-1998م.
2. تجسيد الأنبياء والصحابة في الأعمال الفنية من منظور شرعي، د. مجدي محمد عاشور، مؤتمر مجلس الفقه الإسلامي الدولي، الدورة الحادية والعشرون.

3. تجسيد الأنبياء والصّحابة في الأعمال الفنيّة، صالح بن مقبل بن عبد الله العصيمي، مؤتمر مجلس الفقه الإسلاميّ الدوليّ، الدورة الحادية والعشرون.
4. تجسيد الأنبياء والصّحابة في الأعمال الفنيّة، محمود علي مصلح السّرطاوي، مؤتمر مجلس الفقه الإسلاميّ الدوليّ، الدورة الحادية والعشرون.
5. تجسيد الأنبياء والصّحابة في الأعمال الفنيّة، د. عبد الفتاح محمود إدريس، مؤتمر مجلس الفقه الإسلاميّ الدوليّ، الدورة الحادية والعشرون.
6. حكم ممارسة الفنّ في الشريعة الإسلاميّة، صالح بن أحمد الغزالي، بحث مقدّم لنيل درجة الماجستير في الفقه، جامعة أمّ القرى، العام الجامعي، 1414هـ.
7. الشريعة الإسلاميّة والفنون، أحمد مصطفى علي القضاة، دار الجليل - بيروت، دار عمار - عمّان، الطبعة الأولى، 1408هـ-1988م.
8. صحيح البخاريّ، محمّد بن إسماعيل البخاريّ، تحقيق محمّد بن زهير ناصر الناصر، دار طوق النّجاة (مصوّرة عن السّلطانيّة)، الطبعة الأولى، 1422هـ.
9. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النّيسابوري (261هـ)، محمّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، دون ذكر سنة الطّباعة.
10. مجلّة المنار، محمّد رشيد رضا وآخرين.
11. المسند، أحمد بن حنبل (241هـ)، تحقيق عادل مرشد وشعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسّسة الرّسالة، الطبعة الأولى، 1421هـ-2001م.
12. معجم اللّغة العربيّة المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (1424هـ)، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1429هـ-2008م.

الهوامش:

¹ - د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (1424هـ)، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1429هـ-2008م، ج1، ص372-374، د. مجدي محمّد عاشور، تجسيد الأنبياء والصّحابة في الأعمال الفنيّة من منظور شرعيّ، مؤتمر مجلس الفقه الإسلاميّ الدوليّ، الدّورة الحادية والعشرون، ص2274.

- ² - أحمد مصطفى علي القضاة، الشريعة الإسلامية والفنون، دار الجليل - بيروت، دار عمار-عمّان، الطبعة الأولى، 1408هـ - 1988م، ص335.
- ³ - أحمد شوقي الفنجري، الإسلام والفنون، دار الأمين، الطبعة الأولى، 1418هـ - 1998م، ص29-31.
- ⁴ - د.عبد الفتاح محمود إدريس، تجسيد الأنبياء والصحابة في الأعمال الفنية، مؤتمر مجلس الفقه الإسلامي الدولي، الدورة الحادية والعشرون، ص 2560.
- ⁵ - د.عبد الفتاح محمود إدريس تجسيد الأنبياء والصحابة في الأعمال الفنية، (مرجع سابق)، ص 2560.
- ⁶ - صالح بن مقبل بن عبد الله العصيمي، تجسيد الأنبياء والصحابة في الأعمال الفنية، مؤتمر مجلس الفقه الإسلامي الدولي، الدورة الحادية والعشرون، ص2806
- ⁷ - صالح بن مقبل بن عبد الله العصيمي، تجسيد الأنبياء والصحابة في الأعمال الفنية، (مرجع سابق)، ص2811.
- ⁸ - عبد الرحمن بن عبد الله السند، تجسيد الأنبياء والصحابة في الأعمال الفنية، المفهوم الأنواع والحكم، مؤتمر مجلس الفقه الإسلامي الدولي، الدورة الحادية والعشرون، ص2400
- ⁹ - صالح بن أحمد الغزالي، حكم ممارسة الفن في الشريعة الإسلامية، بحث مقدّم لنيل درجة الماجستير في الفقه، جامعة أمّ القرى، العام الجامعي، 1414هـ ، ص276، محمّد رشيد رضا، مجلّة المنار، ج31، ص734، محمود علي مصلح السّرطاوي، تجسيد الأنبياء والصحابة في الأعمال الفنية، (ص2744).
- ¹⁰ - قيس بن مجّد آل مبارك، حكم التمثيل، -http://islamtoday.net/nawafeth/services/saveart- ٩٠ - ١٣٨٥٠٨.htm.
- محمود علي مصلح السّرطاوي، تجسيد الأنبياء والصحابة في الأعمال الفنية، ص2744.
- ¹¹ - محمود علي مصلح السّرطاوي، تجسيد الأنبياء والصحابة في الأعمال الفنية، ص2744.
- ¹² - صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم 3464، ج4، ص171، صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب ، رقم 2964، ج4، ص2275
- ¹³ - أخرجه الإمام أحمد، ج41، ص9.
- ¹⁴ - محمود علي مصلح السّرطاوي، تجسيد الأنبياء والصحابة في الأعمال الفنية، ص2748.
- ¹⁵ - أخرجه الإمام أحمد، رقم4366، ج7، ص376
- ¹⁶ - صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم 3436، ج4، ص165
- ¹⁷ - محمود علي مصلح السّرطاوي، تجسيد الأنبياء والصحابة في الأعمال الفنية، ص2749.
- ¹⁸ - محمود علي مصلح السّرطاوي، تجسيد الأنبياء والصحابة في الأعمال الفنية، ص2752.
- ¹⁹ - محمود علي مصلح السّرطاوي، تجسيد الأنبياء والصحابة في الأعمال الفنية، ص2749.
- ²⁰ - المرجع السابق، ص27

